

القرآن الكريم وفضل العلم



يكتفي العلم جلالة وفخراً أنَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ قد جعله السبب الكلي لخلق هذا العالم العلوي والسفلي، قال اللَّهُ تَعَالَى في مُحَمَّمَدٍ الْأَنْذِرِي خَاتَمَ سَبَبِ عَوْمَادِهِ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَذَكَّرُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْبَطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلَمًا (الطلاق/ 12).

وجعل سبحانه العلم أعلى شرف، وأوَّل مذَّة امتنَّ بها على ابن آدم بعد خلقه وإبرازه من طُبلمةِ العدم إلى ضياء الوجود، فقال سبحانه في أوَّل سورة أنزلها على نبيِّه محمَّدٍ (ص): (إِنَّ رَبَّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * إِنَّ رَبَّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَمَ بِالْقَاتَمِ * عَلَمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) (العلق/ 1-5).

فتَأْمَلْ كيف افتتح كتابه الكريم بنعمة الإيجاد، ثم أردها بنعمة العلم، فلو كان ثمة مِنْهُة أو نعمة بعد نعمة الإيجاد هي أعلى من العلم لما خصَّه اللَّهُ تَعَالَى بذلك، وصدقَ ربُّه نور الهدایة.

وقد ذكر في تفسير هذه الآية المذكورة في مصدر السورة استعمال بعضها على خلق الإنسان من علقة، وفي بعضها تعليمه ما لم يعلم؛ ليحمل النظم البديع في ترتيب آياته: إِنَّهُ تَعَالَى ذَكَرَ أوَّلَ حالِ الإنسَانِ، وهو كونه علقة، مع أَنَّهَا أَخْسِ الأشْيَاءِ، وآخرُ أمرِه وهو صيرورته عالِمًا وهو مقام شريف، وليس هذا الكمال إِلَّا من قدرته تعالى، وتنبيه على أَنَّ الْعِلْمَ أَشْرَفُ الصَّفَاتِ، ومن هُنَّ حصرَ سبحانه الخشية في العلماء، فقال: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عَبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) (فاطر/ 28).

وهذه الآية فيها وجوه من الدلائل على فضل العلم:

منها: دلالتها على أنَّ العلماء هم أهل الجنَّة؛ وذلك لأنَّ العلماء من أهل الخشية، ومن كان من أهل الخشية كان من أهل الجنَّة، فالعلماء من أهل الجنَّة، فبيان أنَّ العلماء من أهل الخشية قوله تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عَبَادِهِ الْعُلَمَاءُ).

وَبِيَانٍ أَنَّ أَهْلَ الْخُشْيَةِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: (جَنَّـاتٌ عَـدَنٌ تَـحْـرِي مِنْ تَـحْـتَهَا الْأَزْـهَارُ خَـالـدـِينَ أَبَدـِا فـِيهـَا رـَضـِيَ اللـَّـهـُ عـَنـْهـُمْ وَرـَضـِيَ عـَنـْهـُ ذـَلـِكَ لـِمـَنْ خـَـشـِيَ رـَبـَّهـُ) (البيّنة/8).

وَقَرَنْ سِيَاحَاهُ أَوْلَى الْعِلْمِ بِنَفْسِهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، فَقَالَ: (شـَهـِدَ اللـَّـهـُ أَزـَّهـَدُ لـِإـلـَهـِ إـلا هـُوَ وَالْأَمْـلـَائـِكـَةـُ وَأـُولـُو الـْعـَلـَمـِ) (آل عمران/18).

وَزَادَ فِي إِكْرَامِهِمْ عَلَى ذَلِكَ مَعَ الْاقْتِرَانِ الْمُذَكُورِ، بِقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَمـَـا يـَعـَلـَمـُ تـَأـً وـِبـَلـَهـُ إـلا اللـَّـهـُ وَالـَّـرـَّـاسـَخـُونـ فـِي الـْعـَلـَمـِ) (آل عمران/7).

وَبِقَوْلِهِ تَعَالَى: (فـُلـْ كـَفـَـى بـِالـَّـهـِ شـَهـِيدـاً بـَيـِّنـِي وَبـَيـِّنـَكـُمـُ وَمـَـا عـَنـْدـَهـُ عـَلـَمـُ الـْكـِتـَابـِ) (الرعد/43).

وَقَالَ تَعَالَى: (يـَرـُ فـَعـِ اللـَّـهـُ الـَّـذـِينَ آمـَـنـُوا مـِنـْكـُمـُ وَالـَّـذـِينَ أـُوتـُوا الـْعـَلـَمـِ دـَرـَجـَاتـِ) (المجادلة/11).

وَقَالَ تَعَالَى مُخَاطِبـاً لِنَبِيِّهِ، آمـَـرـاً لـهـ مـَـا آتـاهـ مـِنـ الـْعـِلـَمـِ وـالـْحـُكـمـِ: (وـقـُلـْ رـَبـِّ زـِدـْ نـِي عـَلـَمـَا) (طه/114).

المصدر: كتاب 30 أدباً المتعلّم